



منذ سنوات قليلة وفي غمرة أحداث غزة كتب شاعرنا سليم عبد القادر، رحمه الله، قصيدة رائعة لأهلها يبشرهم فيها بالنصر، فقال لهم:

ستنتصرون لا مراء
ستنتصرون في الأرض والسماء
لأنكم مشاصل الحياة، في العالم الخواء
حكاية الأقدار هذى حكمة القضااء
والله يؤتي نصره من شاء

وقد ازدادت القصيدة روعة عندما أنسنها صاحب الصوت الجميل العندليب يحيى حوى، الذي أنسد مجموعة كبيرة من قصائد الشاعر سليم.

وها هياليوم بدهما سوريا تمر بمحنة لا كالمحن، فتذكروا القصيدة بأن النصر قادم بإذن الله. وما أشبه الليلة بالبارحة، فما قاله عن أهل غزة ينطبق على أهل سوريا، بل وأكثر:

قلبي على الضحايا، روحي على الشيوخ والأطفال والنساء
روحى على الرجال صدورهم عراء، أكفهم عزلاء
يصارعون الموت والأهوال
يصارعون بالإرادة الفباء
حياتكم يا أخوتي انتصار

وإن في الشهادة انتصار
في الأرض والسماء منصورون، يا أيها الأحرار

ولا يستطيع الإنسان أن يحبس دموعه وهو يتبع الأخبار ويرى الأشلاء على الشاشة، رغم أن شاعرنا قال:

أطالع المأساة، في الصبح والمساء
أود لو أبكي ولكن يرفض الإباء
في عالم يعتز بالرقص على الأشلاء
نعم يعتز بالرقص على الأشلاء!

ففي مأساة فلسطين تشرد مليون إنسان في العراء، أما عدد المشردين السوريين فأضعاف ذلك، وعدد الضحايا لم يعد يُقادس بضحايا فلسطين، بل يُقارن بعدد ضحايا الهولوكوست والتوكسي. لكن شاعرنا ينظر إلى الموضوع من زاوية أخرى:

فليس كر الأعداء بالدماء، وليشمت بكم من شاء
فإنهم جميعهم أموات، وأنتم الأحياء

ولم يجد وصفاً لهؤلاء الذين يقاومون الموت إلا وصف الأبطال:

تحية يا أيها الأبطال
تحية في البدء والختام
تسري مع الأنسام
تضج بالآنين وتحمل الدعاء

فتحية لأهلنا في سوريا، تحية للأبطال الذين يقارعون الموت، تحية تضج بالآنين وتحمل الدعاء، تحية وداعء إلى الله من القلب بكل الصدق والإخلاص أن يزيل الغمة وينزل النصر.

أما الذين ينتظرون النصر من الخارج، فإنهم لم يقرؤوا ما قاله شاعرنا عندما وصف موقف الغرب من أهل البوسنة، وهو موقف شبيه بالموقف من أهل سوريا اليوم:

يُشمخ الغرب مزهوا بخسته *** وقد تعرى قبيح الوجه مخمورا
يشاهد المحن السوداء ممتعضا *** جهراً، وسرّاً قرير النفس مسرورا
لو اليهود الضحايا شِمت همته *** أمضى من الريح إنقاذاً وتحريرا
لو أنكم قطط جرباء أسعفكم *** لكن محنتكم أن تحملوا النورا
فراح يغضي عن الجزار في سَفَه *** وليس يسألكم عن ذرا وتكفيرا

فأي حضارة وأي تقدم إلى غير الوراء؟ هكذا عبر عنها في قصidته "مقابر الأحياء":

طوبى لنا، قد شبعنا *** تقدماً للوراء
يموتُ شعبٌ ليحيا *** نذل عديمُ الحياة

ولئن مضى بعض الناس قبل أن يأخذوا حقهم في هذه الدنيا فيبشرهم في قصيدة "محنة" بأنهم في الآخرة لا يستوون مع الظالمين:

تمضي الحياةُ بمجرمين لهم من الأخرى الخَسَارُ
وبمؤمنين لهم جنان الخلد منسرحٌ ودارُ
لا يستوون... أتسنوي خُضرُ الحدائِقِ والقِفارُ؟

الاقتصادية

المصادر: